فتح بصائر الإخوان

في شرح دوائر الإسلام والإيمان والإحسان والعرفان

تأليف سيدنا الشريف
الإمام الهمام العالم العلامة وجيه الدين
عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه
الحسيني العلوي الحضرمي التريمي
أعاد الله على المسلمين من بركاته آمين

اعتنى به
السيد علي بن حسن بن زين بلفقيه

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع بدار الكتب

(٤٧٥/ لعام ٢٠٠٧م)



مركز النور

للدراسات والأبحاث

تريم - حضرموت هاتف : ٤١٩٤٤١ - فاكس ٤١٩٤٤٢

توزيـــع

دار الفقيـــه للنشـــر والتوزيـــع



اليمن تريم - تلفاكس : ٤١٦٩٦٧- ٠٠٩٦٧٥

جوال ٠٠٩٦٧٧٧٧٤١٧٥٠٠

جوال ٠٠٩٦٧٧٧٧٤١٥٠٨١

فَتحُ بَصَائِرِ الإِخوَانِ

في شَرحِ دَوَائِرِ

الإِسلَامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحسَانِ وَالعِرفَانِ

وقد يُوجَد مَوسُوماً بكتاب :

فَتحُ بَصَائِرِ المُستَرشِدِين و شَرحِ دَوَائِرِ الفَضْلِ وَالدِّين

تأليف سَيِّدِنا الشَّرِيف

الإِمَامِ الهُمَامِ العَالِمِ العَلاَّمَةِ وَجِيهِ الدِّين

عَبدِ الرَّحمنِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ أَحمَدَ بَلفَقِيه

الحُسَينِيِّ العَلَوِيِّ الحَضرَمِيِّ التَّرِيمِيِّ

أَعَادَ اللهُ عَلَى المُسلِمِينَ مِن بَرَكَاتِهِ آمِين

اعْتَنَى بِهِ

السَّيِّد عَلِي بن حَسَن بن زين بَلفَقِيه

طُبِعَ هَذا الكِتَاب إِلى رُوحِ

السَّيِّد مُحَمَّد بن زين بن حَسَن بَلفَقِيه

رَحِمَهُ اللهُ وَعَفَا عَنهُ

عَلَى نَفَقَةِ أَوْلَادِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب فتح بصائر الإخوان أو فتح بصائر المسترشدين للإمام علامة الدنيا عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه كتاب نفيس في فنه عزيز في موضوعه قد احتوى على درر من علوم القوم وأحوالهم التي بها تَحسُن لنا الصِلات بمولانا جلَّ في علاه، وتصفو ببركتها لنا الأحوال وتزكو برقيق سلسالها لأهل التعطش للعمل بدقيق أنوار فهومها الأعمال، وهو على صغر حجمه إلا أنه كما قال عنه أحد الأكابر: (لم يُؤَلَّف مثله)، وكلام الرجال رجال الكلام، فرضي الله تعالى عن هؤلاء الأقوام والأئمة الأعلام.

وقد وفق الله مركز النور لخدمة هذا السِفْر الجليل، وإبرازه في هذه الحُلَّة القشيبة بعد مقابلته بالنسخة التي طبعها الحبيب محمد بن حسين الحبشي والتي رُمِز لها بـ(ط)، ونسخة مخطوطة من مكتبة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي سنة ١٢٦٣هـ ورُمِز لها بـ(ب) واعتمد عليها غالباً، ونسختين خطيتين في مكتبة الأحقاف رُمِز لهما (أ) و (ج) مع كتابة ترجمة مختصرة للمؤلف رحمه الله ونفعنا به.

والمأمول من الله تعالى أن ينفع به كل من وقف عليه بقصد العمل والاستفادة، فهنيئاً لعشاق الفضائل بروز هذه العَروس الخَرود، والله نسأل لنا ولهم التوفيق والفوز والفلاح إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



ترجمة المؤلف

نسبه:

هو الإمام العلامة والحبر الفهامة عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد ابن عبدالله بن أحمد بن عبدالرحمن ابن الفقيه محمد ابن عبدالرحمن الأسقع بن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الشهيد ابن الفقيه المقدم محمد بن علي ابن محمد صاحب مرباط ابن علي خالع قسم بن علوي ابن محمد مولى الصومعة بن علوي بن عبيدالله ابن المهاجر إلى الله أحمد ابن عيسى النقيب بن محمد ابن علي العريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن سيدة نساء العالمين فاطمة البتول الزهراء بنت سيد المرسلين نبينا محمد عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين أفضل الصلاة والتسليم.

مولده:

ولد هذا الإمام الذي لا نظير له في الأقران بمدينة تريم الغنية شهرتها عن التعريف وذلك في عام ١٠٨٩هـ تسعة وثمانين وألف للهجرة النبوية.

نشأته:

نشأ هذا الإمام الفخيم نشأةً علمية أدبية صوفية حيث نشأ في كنف والديه الكريمين واللذين أسقوه ألبان العلوم والمعرفة منذ نعومة أظفاره. حيث أن والده الكريم العالم العلامة عبدالله بن أحمد ابن عبدالله بلفقيه أحد رجالات عصره وأحد أفراد دهره والذي يشار إليه بالبنان ويرجع إليه الخاص والعام في سائر العلوم فقهاً وحديثاً وتفسيراً وإلى كثير من العلوم.. فنشأ هذا الإمام المترجم له في هذه البيئة العلمية الخيرية مما أهلته للرقي والسمو إلى أوج يفاع المعرفة والعلوم الظاهرة والباطنة في سنه المبكر حيث إن والده استخلفه للتدريس والفتوى وهو في الحادية والعشرين من عمره إذ كان أهلاً لذلك المقام والذي لا يرتقيه إلا النادر من عباقرة الرجال وقليل ما هم.

طلبه للعلم:

أشرنا فيما سبق ملازمته التامة لوالده وأخذه عنه حتى توفي سنة ١١١٠هـ، ثم لازم جده لأمه الإمام محمد بن عبدالرحمن العيدروس حتى توفي عام ١١١٢هـ، ثم لازم خاله السيد عبدالرحمن بن محمد العيدروس حتى توفي عام ١١١٣هـ، ثم لازم الإمام أحمد بن عمر الهندوان حتى توفي سنة ١١٢٠هـ، ثم لازم الإمام الحداد حتى توفي عام ١١٣٢هـ.

فأحببنا أن نقتصر على ذكر هؤلاء من مشايخه وإلا فإن شيوخه والذين أخذ عنهم كثيرون جداً لا تسعهم هذه العُجالة الوجيزة فمن

أراد الاستزادة فعليه بالمطولات في ذلك مثل كتابه رفع الأستار فإنه أشار إلى جميع من أخذ عنهم تفصيلاً.

وأما الآخذون عنه: فهم لا يحصون بالعد والتعداد ولكن علينا أن نقتصر على من اشتهر منهم فمنهم:

١- العالم العلامة سقاف بن محمد بن عمر بن طه السقاف.

٢- العلامة الحبيب حسن الصادق بن علي الجفري.

٣- الحبيب العلامة شيخ بن عبدالرحمن باعبود.

٤- الحبيب العلامة عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر ودفينها.

٥- العلامة الحبيب حامد بن عمر حامد باعلوي.

٦- الخليفة الصالح ابن المؤلف العلامة عيدروس بن عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه.

٧- الشيخ الفاضل العلامة محمد بن إبراهيم بن حسن الكردي المدني.

٨- الحبيب العلامة علي بن شيخ بن شهاب.

٩- الحبيب العلامة علي بن حسن بن عبدالله العطاس.

وأما غير هؤلاء فهم كثير فقد أخذ عنه جملة من أهل الحجاز عندما رحل للحج عام ١١٢٠هـ.

هذه صورة مصغرة نعرضها للقارئ عن المؤلف ليأخذ بها فكرة عامة عن نماذج الرجال الذين آثروا أن يعيشوا خاملين، والذين لا يهمهم بحال من الأحوال بعد أن يوثقوا صلتهم بخالقهم أن يعرف عنهم أحد في هذه الدنيا فهم خير صورة للعالم المخلص، يصدق عليهم قول الله عز وجل: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧] نفعنا الله بعلومهم وأسرارهم إنه سميع مجيب.



كتاب فتح بصائر الاخوان دوائر
الاسلام والاحسان وق
موسوما بكتاب فتح
المسترشدين وتلى
دوائر الفضل
والدين تاليف
سيدنا

الامام
الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه الحسيني
العلوي الحضرمي التريمي اعاد الله على المسلمين
من بركاته اجمعين

غلاف النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد المنان العظيم الإحسان المتفضل باللطف والتوفيق للإسلام والإيمان والإحسان والعرفان والإرشاد والبيان باعث الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والفرقان ومخصص المصطفى صلى الله عليه وسلم من بينهم بالدعوة الجامعة لكل دعوة وبيان أولًا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا في جميع الشأن فأوضح الله به الطريق إليه في كل حال وختم بدينه المحيط بكل نور وهدى جميع الأديان صلى الله عليه وعلى آله نجوم الهدى وأصحابه مصابيح العلم والعرفان وأتباعه بإحسان على منهج سنته ودلالة القرآن حبل الله المتصل الوحي الحق الدائم الغض في كل زمان فهو لكل شيء تبيان وفيه تفصيل كل علم وتأصيل كل حكم وبيان بأوضح برهان والسنة الكريمة

لدائم

الصفحة الأولى من النسخة (أ)

وانها كنز الغنا واولى من كل الامور بكل اجتهاد ١٩
واعتنا لكن الاولى الستر والحفظ الخاص والاختصاص
بالخواص اهل الذوق والاخلاص واما في العموم فالاولى
التظاهر بعلوم الظاهر خصوصا علم الكتاب والسنة
والاتباع وترتيب الفقه والتصوف عليه وتزيينه
وتشنيف الاسماع فهو ابعد عن الابتداع بتداع
في اتباع الرسول واقرب الى الوصول الى تقويم الفروع
وتاسيس القواعد والاصول فيكون علم الكتاب
والسنة علمه ورسمه والتفقه في الدين همه
وفهمه والتصوف طريقه ووسمه والحقيقة
كنزه وسره وكتمه وليكن هذا آخر الانموذج
وختمه والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم والحمد لله رب العالمين

ن وتزيينه

بلغ

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

٢٠٥

كتاب فتح بصائر المسترشدين لشرح دوائر الفضل والدين
تأليف سيدنا العارف بالله العلامة المحقق السيد الشريف
الفهامة المدقق وجيه الدين وقطب
المصنفين مولانا الحسن عبد الرحمن
بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه
محمد علوي نفع الله به
وبعلومه آمين
اللهم
آمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين

غلاف النسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد المنان العظيم الاحسان المتفضل باللطف والتوفيق للاسلام والايمان والاحسان والعرفان والارشاد والبيان باعث الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والفرقان ومخصص المصطفى صلى الله عليه وسلم من بينهم بالدعوه الجامعه لكل دعوه وبيان اولا واخرا وباطنا وظاهرا في جميع الشان فاوضح الله تعالى به الطريق اليه في كل حال وختم بدينه المحيط لكل نبوه وهدى جميع الاديان صلى الله عليه وعلى اله نجوم الهدى واصحابه مصابيح العلم والعرفان واتباعه باحسان على منهج سنته ودلالة القران فالقران حبل الله المتصل الوحي الحق الدايم الغض في كل زمان فهو لكل شي تبيان وفيه تفصيل كل علم وباصيل كل حكم باوضح برهان والسنه الكريمه له اتم شرح وبيان فاغنى الله به هذه الامه الاحمديه مع تبيين السنه المحمديه له وفهم العلما فيه وارشادهم به اليه عن بعث الرسل وعن تنزيل قران فلم تزل ملته صلى الله عليه وسلم الاحمديه وطريقه المحمديه ظاهره بيضا نقيه عند كل ذي علم وايمان لا فتره فيها ولا ضلال ولا شبهة ولا اشكال ولا وهن ولا اختلال عند اهل المعرفه والايقان فلم يزل دينه جديدا يبعث الله بلطفه في كل قرن من يقوم له بالتجديد بايضاح الحجج واقامه البرهان ويدعو الى الله على بصيره في شريعه وطريقه وحقيقه في دواير الاسلام والايمان والعلم والبيان والاحسان والعرفان وبعد فان بعض الاخوان من اهل الله الموالين في الله على حق الايمان في طريق الاحسان الح علي وعول ان اذكر له وصيه جامعه التبيين لتكون

لم

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

فضل الإيمان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان
عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم
وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله
الجنة على ما كان من العمل وفي رواية ادخله الله من
من ابواب الجنة الثمانية ايها شاء للشيخين وعن
للترمذي من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله حرم عليه النار كما تلقيته اجازة و
سماعا من سيدي السيد عمر بن احمد بن عقيل عن
الشيخ عبد الله بن سالم البصري عن مؤلفه الى
اصحاب الاصول الى النبي صلى الله عليه وسلم
والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا
وباطنا وصلى الله
على سيدنا محمد
واله وصحبه
وسلم

[illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)



كتاب فتح بصائر الاخوان في شرح دوائر
الاسلام والاحسان وقد
توجد موسومًا بكتاب فتح
بصائر المسترشدين
في شرح دوائر
الفضل
والدين

تاليف سيدنا الامام الحبيب عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه الحسيني
العلوي الحضرمي التريمي
اعاد الله على المسلمين
من بركاته آمين
يارب
العالمين

غلاف النسخة (جـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد المنان العظيم الاحسان المتفضل باللطف
والتوفيق للاسلام والايمان والاحسان والعرفان والارشاد
والبيان * باعث الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والقرآن
ومخصص المصطفى صلى الله عليه وسلم من بينهم بالدعوة الجامعة
لكل دعوة وبيان اولاً واخراً وباطناً وظاهراً في جميع الشأن
فاوضح الله به الطريق اليه في كل حال وختم بدينه المحيط
بكل نور وهدى جميع الاديان صلى الله عليه وعلى اله نجوم الهدى
واصحابه مصابيح العلم والوفاء واتباعه باحسان على منهج
سنته ودلالة القرآن حبل الله المتصل الوحي الحق الدائم
الفيض في كل زمان فهو لكل شيء تبيان وفيه تفصيل كل علم
وتاصيل كل حكم وبيان باوضح برهان والسنة الكثيرة له اتم
شرح وبيان فاغنى الله به هذه الامة الاحمدية مع تبيين
السنة المحمدية له وفهم العلماء فيه وارشادهم به اليه
مع بعث الرسل وتنزيل ثان فلم تزل ملته صلى الله عليه
وسلم الاحمدية وطريقته المحمدية ظاهرة بيضاء نقية عند
كل ذي علم وايمان لا فترة فيها ولا ضلال ولا شبهة ولا
اشكال ولا وهن ولا اختلاف عند اهل المعرفة والايقان
فلم يزل دينه جديد يبعث الله بلطفه في كل قرن من يقوم
له بالتجديد بايضاح الحجج واقامة البرهان ويدعوا الى الله
على بصيرة في شريعة وطريقة وحقيقة في دواير الاسلام

والايمان

الصفحة الأولى من النسخة (جـ)

من الصفات والاحوال كالسمع والبصر والكلام والبقاء والفنا
والجمع والفرق والثبات والشتات والزمان والمكان في الذات
والصفات وربما سبق الى فهم المنكرين والجهال نسبة القوم
السالمين من اللوم والزيغ والضلال الى الميل الى قول اهل الالحاد
والحلول والاتحاد فحاشا الله وحاشا اهل الدين والعلم والتقى
والكمال بل من انصف وتقرر عنده ما ذكره اهل العقايد في
الكلام على مسئلة الكلام في قولهم القران كلام الله محفوظ في
القلوب مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف غير حال فيها
عرف ذلك واعترف به وكذلك ظهور عمل العبد بقدرته
الحادثة التي لا تاثير لها مع نسبة الحقيقة الى الله فالعضو مظهر
قدرة الله في خلق الاعمال كالمصحف والحروف والآذان والقلوب
مظهر ظهور كلام الله فيها وهذه العلوم مزلة اقدام اهل
الاقدام فكل من لم يتفرغ له تمكن في علم الاحكام مع علوم
الطريقة ومناهج الحقيقة بعلم وذوق واحتكام فالاولى
به التوقف فيها وعنها والاحجام وما يدركها الا من نور الله
قلبه وهذب لبه وشرح بالفتح صدره فصلح في الله
امره وما كان ينبغي ذكرها والخوض فيها على هذا البنا الا لمجرد
التشويق اليها والمدح لها والثنا وانها كنز الغنا واولى
من كل الامور بكل اجتهاد واعتنا لكن الاولى بها الستر
والحفظ الخاص والاختصاص بالخواص اهل الذوق والاخلاص
واما في العموم فالاولى التظاهر بعلوم الظاهر خصوصا
علم الكتاب والسنة والاتباع وترتيب الفقه والتصوف
عليه وتزيينه به وتشنيف الاسماع فهو ابعد عن الابتداع
في اتباع الرسول واقرب الى الوصول الى تقويم الفروع

الصفحة الأخيرة من النسخة (ج)

فتح بصائر الأخوان

في شرح

دوائر الإسلام والإيمان والإحسان والعرفان

مقدمة المؤلف

الحمد لله الواحد المنان، العظيم الإحسان، المتفضل باللطف والتوفيق للإسلام والإيمان والإحسان، والعرفان والإرشاد والبيان، باعث الرسل صلوات الله عليهم بالتحقيق والفرقان، ومخصص المصطفى صلى الله عليه وسلم من بينهم بالدعوة الجامعة لكل دعوة وبيان، أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً[١] في جميع الشان، فأوضح الله تعالى به الطريق إليه في كل حال، وختم بدينه المحيط بكل نور وهدى جميع الأديان، صلى الله عليه وعلى آله نجوم الهدى وأصحابه مصابيح العلم والعرفان، وأتباعه بإحسان على منهج سنته ودلالة القرآن.

فالقرآن[٢] حبل الله المتصل بالوحي[٣] الحق الدائم الغض في كل زمان، فهو لكل شيء تبيان، وفيه تفصيل كل علم وتأصيل كل حكم [وبيان[٤]] بأوضح برهان، والسنة الكريمة له أتم شرح وبيان، فأغنى الله به هذه[٥] الأمة الأحمدية مع تبيين السنة المحمدية له وفهم العلماء فيه

---

(١) في (ط): وظاهراً وباطناً.

(٢) سقطت من (أ) و (ج): فالقرآن.

(٣) في (ب): الوحي.

(٤) سقطت من (ب) و (ط): وبيان.

(٥) في (ط): بهذه.

وإرشادهم به إليه عن[1] بعث الرسل وتنزيل ثان، فلم تزل ملته صلى الله عليه وسلم الأحمدية، وطريقته المحمدية، ظاهرة بيضاء نقية، عند كل ذي علم وإيمان، لا فترة فيها ولا ضلال، ولا شبهة ولا إشكال، ولا وهن ولا اختلال، عند أهل المعرفة والإيقان، فلم يزل ودينه جديد، يبعث الله بلطفه في كل قرن من يقوم له بالتجديد، بإيضاح الحجج وإقامة البرهان، ويدعو إلى الله على بصيرة في شريعة وطريقة وحقيقة في دوائر الإسلام والإيمان، والعلم والبيان، والإحسان والعرفان.

وبعد: فإن بعض الإخوان من أهل الله الموالين في الله على حق الإيمان في طريق الإحسان؛ ألحَّ عليَّ وعوَّل [على][2] أن أذكر له وصية جامعة التبيين، لتكون له تبصرة وتذكرة نافعة في الدين، وطلب أن تكون شاملة في أوله وآخره كاملة[3] في باطنه وظاهره، على وجه الجمع بين كلام العلماء المتقين الأولياء العارفين، ورغب إليّ فيما علمتُه من ذلك، وخبرتُه وسبرتُه[4] وجربتُه من علم ويقين.

---

(١) في (أ) و (ج): مع.

(٢) سقطت من (ط) و (ب): على.

(٣) سقط في (أ) و (ج): في أوله وآخره كامله.

(٤) سبرته: سبراً حزرته وخبرته يقال سبر الجرح: قاس غوره بالمسبار وسبر فلاناً خبره ليعرف ما عنده. المعجم الوسيط صـ٤١٣.

فأقول وبالله الهداية[١] والتوفيق:

اعلم أن هذا الأمر والهداية[٢] له بداية ونهاية، وأول وآخر، وباطن وظاهر، وأصول وفروع، وفصول وجموع[٣]، ولا تدرك غايته إلا بتقويم هدايته، ولا تنال نهايته[٤] إلا بتصحيح بدايته، ولا كمال لأوله إلا بآخره، ولا وصول إلى باطنه إلا من ظاهره، ولا طريق إلى فروعه إلا من أصوله، ولا تحقيق لمجموعه إلا بمعرفة فصوله. وكله دين واحد وطريق مستقيم له منازل ومناهل، ودرجات ومراتب ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢] ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد ورد بذلك الكتاب والسنة على وضع متحد، فالأخذ بفرعه وفصله[٥] يستلزم الأخذ بباقيه وأصله، والتكذيب ببعضه تكذيب بكله، وأهل كل مرتبة يأخذون من كل آية وطاعة -مثلاً- منازلهم، ويشربون فيه مناهلهم، كل منهم على قدر طاقته وقابلية قلبه، وإيمانه وطاعته وقربه، فإن كل آية وحديث وطاعة وذكر وعبادة[٦] له ظاهر وباطن

---

(١) سقط في(أ) و (ط): الهداية.

(٢) سقط في(أ) و (ط): الهداية.

(٣) في (أ) و (ج) و (ط): جموع.

(٤) في (ط): هدايته .

(٥) في (ط): وأصله.

(٦) في (أ) و (ج) و (ط): وعبادة وذكر.

وحد ومطّلع إلى ما لا نهاية له، فكل طالب يأخذ من كل مطلوب منه نصيبه على حسب قسمه، ومبلغ فهمه وعلمه.

ففي كلمة الإخلاص مثلاً التي هي أصل الأصول يقول أهل الإيمان: لا إله إلا الله؛ ومعناهم لا معبود إلا الله، ثم في طريق الإحسان معناهم لا مقصود إلا الله، ثم في تحقيق العرفان معناهم[١] لا موجود إلا الله، وفي البسملة مثلاً التي هي المبتدأ في كل حال[٢] يقولون بسم الله ومعناهم التعلق ثم في المرتبة الثانية التخلق ثم في المرتبة الثالثة التحقق، فقد أخذ أهل كل[٣] مرتبة من هذين الكلمتين والذكرين الشريفين نصيبهم، وشربوا مشربهم[٤]، على اختلافٍ وتفاوتٍ لا نهاية له في كل مرتبة، كما في المرتبة الأولى في العبادة والتعلق في خصوص وعموم في ملاحظة النوع والسبب في كل مقسوم على حد معلوم، وقس على ذلك ما سواه.

واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما تفضل ببعثة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعطاه جوامع الكلم، وسهل له الدين ويسره به[٥]، ورفع عن أمته ببركته الإصر وكل عسر، اختصر له الدين كله في

---

(١) سقط في (أ) و (ج): معناهم.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): حال.

(٣) في (ب): كل أهل.

(٤) في (أ) و (ج) و (ط): شربهم.

(٥) سقطت من (أ) و (ج): ويسره به.

كلمتي الشهادتين[١] مبدأ[٢] دائرة الإسلام والإيمان، ثم بسطه في كل دائرة أوسع منها بسطاً لا نهاية له على حسب درجات المتقين؛ ومقامات الدين؛ إلى غايات الأنبياء والمرسلين، فالدخول في الإسلام بالنطق بالشهادتين كالنقطة التي تدور عليها دائرة الإسلام والإيمان، ثم العلم والبيان ثم الإحسان ثم[٣] العرفان إلى مالا نهاية له في هذا الشان، فلنوضح ذلك[٤] في أربع دوائر والله المستعان.

الدائرة الأولى دائرة الإسلام والإيمان[٥] والأخذ في الأصول[٦] والفروع بالمجموع والمجمول بالاعتقاد والانقياد والإذعان.

الدائرة الثانية دائرة التأصيل في الأصول؛ والتفصيل في الفروع والفصول؛ والاتساع في العلم والبيان .

الدائرة الثالثة دائرة الوصول من الظاهر إلى الباطن؛ والحصول من العلم والبرهان إلى الذوق والوجدان؛ وهي طريق الإحسان.

الدائرة الرابعة وهي آخرة بالنسبة إلى لما قبلها، أولى بالنسبة لما بعدها، وهي: مطالعة الحقيقة ومعرفة كل حد ومطلع في كل بطون وظهور في مناهج العرفان .

---

(١) في (ط): الشهادة.

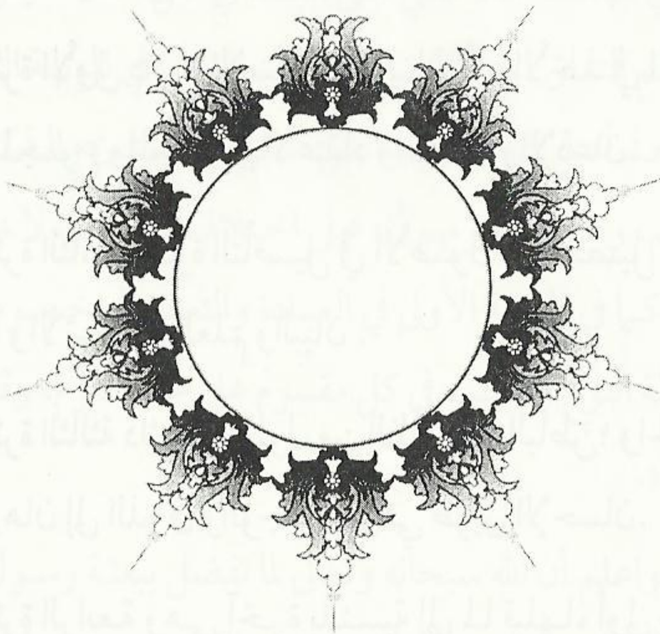
(٢) في (أ) و (ج) و (ط): مبتدأ.

(٣) في (ط): و .

(٤) سقط من (أ) و (ج) و (ط): كذلك.

(٥) في (ب) و (ط): الإسلام والإيمان .

(٦) في (أ) و (ج): الأصول.



الدائرة الأولى

اعلم أنه يحصل[1] الدخول في الإسلام والإيمان ويتيسر أولاً بالنطق بالشهادتين ومعرفة معناهما والتزام أحكامها والإذعان لمقتضاه ظاهراً وباطناً، فبذلك وحده يحصل الإسلام في الحال والإيمان على كمال[2]، فمن مات على ذلك فقد مات على الفطرة ودين كامل.

ووجه ذلك أن الشهادتين تشتملان على جميع أمور الدين بالإجمال، فأما الاعتقاديات[3] فواضحة من المقال، وأما غيرها فإنه يلزم من الإذعان لذلك التزام مقتضاه في جميع الأحكام والأعمال، والعزم على الدوام على [جميع][4] ذلك في جميع الأزمان والأحوال، فقام[5] الإجمال لذلك مقام التفاصيل[6] إذ لا غاية لها بحال، وناب الالتزام بذلك عن العمل إذ لا نهاية للأعمال.

---

(١) في (ب): قد يحصل.

(٢) في (ج): كل كمال.

(٣) في (ج): الاعتقادات.

(٤) زيادة من (ط).

(٥) في (ط): فمقام.

(٦) في (أ) و (ج): التفصيل.

وبذلك يعلم أن الأعمال إنما شرعت ممدة للدين، ومنمية لمعنى الشهادتين و[١] مقوية لليقين، وأن[٢] الذكر إنما شُرِعَ للتذكير، وتطهير الضمير من الغفلة بالغير، فأثره يعود على الذاكر لا على المذكور، وثمره[٣] للعبد في جميع الأمور، وأن النطقَ بالشهادتين وما ذكر معه كالنواة للنخلة، منها نباتها وتفرع عروقها وتشعب فروعها، بحسب زكاة أرضها وعذوبة ماءها، فَغَرْسُ شجرة الدين ببذر الشهادتين في القلب الصالح، وسقيها بماء العمل الصالح، الواصل إلى القلب بالحضور بالعلم المعين؛ على يد الملائكة المقربين، وإمداد الأولياء ومجالسة الصالحين، تفتح لعين العين[٤] بمعنى الدين، وتمنح كل نور وعمل من أعمال المتقين، فيحيا القلب بذلك حياة طيبة في بهجة وسرور، ولا يموت بموت الجسد بل يبقى أبداً في نعيم وحبور.

وأما غرسها في القلب الفاسد الخبيث وسقيها بماء أجاج المعاصي والخبائث فإنها لا تبقى معه بحال، وتنبت فيه مكانها في الحال شجرة الخبال والضلال المبين على يد الشيطان اللعين، فيموت الدين والقلب قبل موت الجسد، ويبقى في ظلمات البعد والطرد والنكد أبد الآبدين والأمر لله رب العالمين.

---

(١) في (ط): أو.

(٢) في (ج): فإن.

(٣) في (ط): وثمرته.

(٤) في (أ) و(ج) و(ط): اليقين.

فنقطة دائرة الإسلام هي النطق بالشهادتين كما ذكر، فلا تزال تلك الدائرة تتسع بحسب التفصيل في ذلك الإجمال، وتعاطي الملتزَم من الأحكام ومباشرة الأعمال، ووضوح المعتقَد بصحيح الفكر[1] واتضاح الاستدلال، فيزيد الإسلام والإيمان بذلك بحسب المعنى الراجع في كل ذلك إلى الشهادتين، وما اشتملتا[2] عليه من أمور الدين، والاستسلام لله والانقياد له والرجوع إليه علماً وعملاً في كل حال وحين.

فكل من لم يجد لعمله الصالح زيادة في دينه؛ وقوة في يقينه، فليعلم أن ذلك إنما هو لنقص عمله وقله اجتهاده، لعدم إخلاصه وصدق نيته، أو لعلة من العلل[3] في قلبه، فسد بها القلب وأفسد العمل، وتلك العلل كرضاه عن نفسه، ونظره إلى عمله وإعجابه به، وكرؤية الخلق والتعلق بهم والملاحظة لهم، الموجبة للرياء والكبر والحسد والغش والحقد، وكتسلط النفس الأمارة بالسوء واستيلائها على القلب، بغلبة الشهوة المثمرة للقسوة وعدم الخوف والانهماك في المعاصي، وكخبث الطوية وتمكن الشيطان ووسوسته وغروره.

فليجتهد العبد الموفق بتطهير قلبه من هذه الكبائر الموبقات، وطب لبه من هذه الخبائث والأمراض المهلكات، ويُشمِّر في علاجه

---

(١) في (ط): الفطر.

(٢) في (ط): اشملت.

(٣) سقطت في (ب): من العلل.

وصلاحه، وتزكيته ورشده[1] وفلاحه، فإن القلب إذا صلح صلح الجسد والأمر كله، وإذا فسد فسد العمر كله، فهو أولى بالعناية من أمراض الجسد وبقية الأعضاء، فالعَجَب كل العَجب ممن إذا اعتلّت يده أو رجله بذل جهده في علاجها بكل وجه، وإذا اعتل قلبه ومرض لبه لا يتفكر في علاجه، ولا ينظر في طبه، ويهمل أمره حتى يموت قلبه فلا يحيا أبداً، ويطبع عليه ويذهب دينه فلا يفلح سرمدا ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٤-١٥] ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[المائدة: ١٣] ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

وكيف[2] يغفل العاقل عن عقله وقلبه، الذي ما امتاز على الحيوان إلا به، وعن دينه الذي ما فضل على الكفار إلا بسببه، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فكيف يرضى من ميزه الله بالعقل ودعاه إلى الرشد والفلاح، أن يغفل عن عاقبة أمره وحال قلبه في الفساد والصلاح[3]، ويصرف ذرات عمره التي لا قيمة لها

---

(١) في (أ) و (ج) و (ط): ورشده.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): فكيف.

(٣) في (ط): الصلاح والفساد.

في شهوات البهائم والأكل والشرب والنكاح، فيقنع بحالة البهائم في الغدو والرواح، بل هو أضل من الأنعام لما عليه من الوزر والجناح.

فلينظر الإنسان فيما هو به إنسان، وما به يرتفع عن[1] حضيض النقصان، إلى أوج العلا والإحسان، وما ذاك إلا العقل والدين، وامتلاء القلب بالنور واليقين، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩] ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فكم من إنسان ليس بإنسان، وما له[2] من الإنسانية إلا الصورة وهو في الحقيقة دابة أو سبع أو كلب أو شيطان، على ما فيه من صفات هذه المذكورات[3]، فغلب عليه وتلا من سوره، فلا تغرك منه صورته الظاهرة، فالعبرة بحقيقته وإنما تظهر الحقيقة في الآخرة.

فمن أراد الله سعادته وصلاحه طهر قلبه وجسده من المعاصي والخبائث المهلكات[4]، ووفقه لدوام ذكره وملازمة[5] الطاعات،

---

(١) في (أ) و (ج) و (ط): من.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): وليس له.

(٣) في (أ) و(ج) و(ط): المذكورة.

(٤) في (أ) و (ج): والمهلكات.

(٥) في (ط): وبملازمة، وفي (أ) و(ج): ودوام.

وأشهده[1] أن له المنة عليه في جميع الأمور والأحوال والأوقات، بنعمة الإيجاد والإبقاء والإمداد والسلامة من الآفات، فهو الذي أعطاه ما أعطاه وهداه إليه وألهمه الطاعات، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨].

فعنوان القلوب الصالحة الفرح بالرشد والإيمان، وكراهة الكفر والفسوق والعصيان، ومحبة الخير وأهل الخير والانتفاع بالذكر والتذكير وقراءة القرآن ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠] ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] الآيات.

فكل من لم ينتفع بالذكر والقرآن؛ ولم يخشع للتذكير والبيان؛ فذلك لضعف الإيمان، واعتلال الجنان، حيث ران عليه ما ران، فليتدارك ما بقي من عمره، وما فرط فيه من أمره، وليجتهد في صدقه مع الله وإخلاصه، وتطهير قلبه من الخبائث وخلاصه، وملازمة ذكر الله

(١) في (ج): وأشهد.

والاستهتار[١] به على الدوام، واغتنام الأعمال الصالحة والمراقبة لله والحضور في كل حال ومقام، ليمتلئ قلبه من اليقين ويصعد بسلم الاستسلام لله في الإسلام والاطمئنان به على مناهج[٢] الإيمان؛ إلى مدارج الإحسان، ومعارج العرفان، فيرى الحق حقا كالعيان ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

فالعمل الصالح هدية من الله لعبده، وفضل من الله أعطاه إياه وأثابه عليه[٣]، وجعله لمن قربه سمةً وأظهرَ عنوان، وجعله مفتاحاً لقبوله وباباً لرضوانه والنعيم في الجنان[٤]، فالمعرض عن العمل الصالح لا يُفْتَحُ له كالمعرض عن الباب، والعامل يقرع باب الجود تحت عطايا المنعم الوهاب، فالمستغرق بعبادة[٥] ربه المستهتر[٦] بذكره، عاجز عن أداء شكره، لأن ذلك عليه نعمة جديدة أخرى، أعظم من كل نعمة كبرى، إذ وفقه لطاعته، وجعله من أهل حضرته، وذلك أعظم منة وعطية، وأرفع درجة علية، لا يقدّر قدرها، ولا يقدر على شكرها، ولو اجتهد وبذل جهده ليشكر، فما قصد به الشكر نعمة أخرى، وهَلُمَّ جرا.

---

(١) الاستهتار: هو الولوع بالشيء والإفراط فيه حتى كأنه قد اهتر أي قد خرف. لسان العرب ٥/ ٢٤٩.

(٢) في (أ) و (ج) و (ط): منهاج.

(٣) سقطت من (ب): عليه.

(٤) في (ط): الجنات.

(٥) في (ب): في عبادة.

(٦) الرجل المستهتر: هو الذي لا يبالي ما قيل فيه. لسان العرب ٥/ ٢٤٩.

فسبحان من لا يمكن شكر نعمته، إلا بنعمته ولا يقدر على طاعته إلا بتوفيقه ومنته، فلا حيلة في شكره إلا بالعجز والاعتراف والافتقار، ولا قوة على طاعته إلا بالذل والخضوع والاضطرار.

وأما الأعمال فالمنة لله فيها ظاهرة، ودوام التقصير في شكرها حالة دائمة حاضرة، فالشاكر الذاكر الصائم القائم - مثلاً- خوفه من الله أعظم من غيره، لِعِظَمِ منةِ الله عليه وقلة شكره وكثرة تقصيره.

فإذا عرفت ذلك علمت أن العالم[١] الكامل قد يخاف من وجود عمله، خوفاً من نظره إليه وتعويله عليه، لشهود منة الله عليه به، وقلة شكره بسببه[٢]، فكيف يعتمد عليه، فما العمل مقصود له إلا من حيث شهود المنة، واتباع الطريق وامتثال[٣] أمر الله بفعله، وأنه جعله سبحانه باب قربه، ومفتاح حبه، وبالله التوفيق .



(١) في (أ) و (ج) و (ط): العامل .

(٢) سقطت في (ط): بسببه.

(٣) في (ب): امتثالاً .

الدائرة الثانية

في[1] التأصيل في الأصول [والتفريع][2]

والتفصيل في الفروع والفصول والاتساع في العلم والبيان

اعلم أن هذا الدين أوله وآخره وباطنه وظاهره[3] لابد فيه من علم وعمل، فالعلم وإن كان منه ما هو وسيلة فهو أصله ودليله، وهو للمؤمن وزيره وخليله، وهو إلى كل خير في الدنيا والآخرة منهجه وسبيله، بل هو لمن قصد به وجه الله وصدق فيه مع الله أفضل عبادة، ((فما عبد الله بشيء أفضل من الفقه في الدين))[4] ((ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد))[5] ((وفضل العالم على العابد كفضل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره))[6] ومن نال العلم واتقى الله به[7] فقد نال

---

(١) سقطت من (ب): في.

(٢) زيادة من (ط).

(٣) في (أ) و (ط) و (ج): وظاهره وباطنه.

(٤) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه الحديث رقم ٤٨٧. وقال رواه الطبراني في الأوسط. والحديث أيضاً عن أحمد في المسند.

(٥) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٣/ ٤٧٧ الحديث رقم ٢٦٨١. والحديث عند ابن ماجة في المقدمة باب ١٧.

(٦) رواه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة برقم ٢٦٨٥، ٥/ ٥٠ وقال هذا حديث حسن غريب صحيح. ورواه الدارمي عن مكحول مرسلاً انظر تحفة الأحوذي ٧/ ٣٨٠.

(٧) في (ب): واتقى به.

أشرف منازل الفضل والسعادة ((**ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**))[١] ((**وخيار**[٢] **الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**))[٣].

فحتم على كل مؤمن أن يجتهد في العلم الذي به معرفة دينه وقوة يقينه، وتأصيل أصوله وتفصيل فروعه وفصوله، فيكون دليله إلى ربه ومعرفته ورضاه وقربه، فيأخذ من كل علم من علوم الدين مما هو فرض ومسنون بطرف صالح على أستاذ ناصح، بحسب اتساع الوقت واغتنام الفرص وساعاتها، كالعقائد والفقه والتصوف وعلوم القرآن والسنة وآلاتها، فيقصد بها وجه الله والتقرب به[٤] إليه.

فإن العلم[٥] أعظم أبواب الدين وأسباب القرب من رب العالمين، فبه يعرف العبد نفسه في عجزه ونقصه وذله وفقره، ويعرف ربه[٦] وكبرياءه وغناه عنه وفضله عليه في جميع أمره[٧].

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب العلم باب فضل العلم الحديث رقم (٤٨٦) وقال رواه الطبراني في الصغير ورجاله رجال الصحيح.

(٢) في (أ) و(ج) و (ط): وخيار.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ فتح الباري ٦/ ٤١٩ الحديث رقم ٣٣٥٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ط): بها.

(٥) في (أ) و (ج) و (ط): فالعلم.

(٦) في هامش (أ): كان حقه أن يقول في قدرته وكماله إلى آخره اهـ محمد الكاف.

(٧) إشارة إلى الأثر ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) الذي ذكره الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة ونقل عن أبي المظفر السمعاني أنه قال في الكلام على التحسين والتقبيح العقلي من القواطع: لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله وكذا قال =

فالعلم الذي لا يثمر هذه الثمرة، ولا تنمو به هذه المعرفة في هذه الشجرة، ليس من علوم الدين بحال، وإنما هو قيل وقال، وهو إذا لم يفد الهدى والنور واليقين، فإنما هو بلاء وبور وصفات المنافقين، فكل علم لم يقرب إلى الله فليس من الله في شيء، وكل علم يقطع عن الله أو يصد عن ذكر الله فهو باسم الجهل أولى، وما يكون منه سببا للغفلة عن الله الموجبة للقسوة والاشتغال في قيل وقال والمراء والجدال؛ فهو مذموم على كل حال، فكم هلك به من قوم، وما نالوا به إلا الإثم واللوم، نعوذ بالله من الحور[١] بعد الكور[٢]، والخروج إلى الظلمة من النور، ومن ازداد علماً ولم يزدد تواضعاً وافتقار إلى الله وخشية له فما ازداد إلا جهلاً، والعلم إذا لم يعد بنفعه على صاحبه فالجهل منه[٣] أعود وأولى.

= النووي: أنه ليس بثابت اهـ. وذكر القاري في الموضوعات نحو هذا، وزاد عقب قوله وقال النووي: أنه ليس بثابت يعني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فمعناه ثابت، فقد قيل: من عرف نفسه بالجهل فقد عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالفناء فقد عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالعجز والضعف فقد عرف ربه بالقدرة والقوة، وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠] المقاصد الحسنة ٤٩٠ حديث رقم ١١٤٩ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري ١٨٩ فتاوى الإمام النووي ٢٧٩-٢٨٠ تحقيق محمد الحجار.

(١) في (ب): الجور.

(٢) نعوذ بالله من الحور بعد الكور: أي من الرجوع بعد الاستقامة ومن النقصان بعد الزيادة ومن فساد أمورنا بعد صلاحها والرجوع عن الجماعة بعد أن كنا معهم. لسان العرب ٢١٧/٤، ١٥٤/٥. والنهاية في غريب الأثر ١٠٧٩/١.

(٣) سقطت في (ج): منه.

ومثلـه في ذلـك العمـل، فـما همـا إلا وسـيلتان إلى العبوديـة والخشوع[١] والخضوع[٢] لله تعالى على كل حال، نعوذ بالله من علم لا ينفع وعمل لا يقبل.

فينبغي لطالب العلم أن يعتني بعين قلبه، وما يزيد في دينه وقوة يقينه وقربه من ربه، ويراعي حاله في علمه على قدر مقامه وفهمه.

وقد قدمنا أن الله سبحانه وتعالى بفضله اختصر[٣] أمور الدين في كلمتي الشهادتين، ليكون الدخول فيه أسهل شيء على المبتدئين، ثم شرح معناهما في بعض الآيات في الذكر المبين، كآية الكرسي وآخر [سورة][٤] البقرة، ثم شرح تلك الآيات بالقرآن العظيم، ثم جعل السنة المحمدية شرحاً له وتبياناً، ثم جعل كلام العلماء شرحاً للسنة إلى ما لا نهاية له، فكلام العلماء وحكمة الحكماء راجع[٥] إلى ذلك ودائر عليه، كل منهم على قدر حاله ومبلغ مقاله، فهم ورثة الرسل في ذلك، والرسل فضل الله: ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وإن تأخر زمانه، فكذلك العلماء.

---

(١) سقطت من (ب): الخشوع.

(٢) سقطت من (ط): الخضوع.

(٣) في (ط): اختص.

(٤) زيادة من (ط).

(٥) في (ط): راجعان.

فإن الله يؤتي الحكمة من يشاء متى شاء كما شاء، وفضل الله على هذه الأمة كالغيث الماطر، فكم ترك الأول للآخر، فليس لقدم العهد يفضل[١] القائل ولا لتأخره يهضم المصيب، بل كل له[٢] بفضل الله نصيب.

ولا يظن الطالب أنه يبلغ التحقيق في جميع العلوم وإن طلب العلم ألف سنة، فالأولى به أن يأخذ من كل فن أحسنه، وما دعت الحاجة إليه.

فإنه يحتاج إلى علم العقائد فيما هو حتم عليه[٣]، من معرفة ما يجب لله ولرسوله ويجوز[٤] ويمتنع، فإن ذلك أول الواجبات وأصل كل العبادات، ويأخذ من إجماله إلى تفصيله، ومن أوله إلى تكميله، فإنه بذلك تحصل له معرفة الله تعالى بالمعنى العام، الذي عليه مدار الدين والإسلام، وهو أصل المعنى الخاص، الذي هو نور في القلب[٥] يقذفه الله تعالى في قلب من شاء من الخواص.

---

(١) في (ط): بفضل.

(٢) في (ط): بل كله.

(٣) في هامش (أ): الأولى أن يقول هكذا: أما علم العقائد فإنه يحتاج إليه فيما هو حتم الخ ... اهـ محمد الكاف. وفي (ج) أما علم العقائد فإنه يحتاج إلى علم العقائد في ما هو حتم عليه.

(٤) سقطت من (ب): ويجوز.

(٥) في (أ) تعليقاً على (في القلب): الصواب حذفه كما هو ظاهر اهـ الكاف.

وليحذر كل الحذر من الاقتحام إلى علم الكلام، فإنه قد يوقعه في اللبس والارتياب، وقد يفهم الشُبه[1] ولا يفهم الجواب، وتدخل عليه الوساوس والأوهام، وربما أخرجه عن دائرة الإسلام، فلذلك[2] أفتى كثير من الأعلام أنه حرام، ومثله في ذلك علوم الأوائل من الكتابيين وغيرهم، وما للمتأخرين من الحقائق والدقائق، فإنه وإن كان جميع ذلك يشتمل على علوم جمة ومنافع مهمة؛ لكن لا يقدر على استخراجها مع السلامة والميل من اعوجاجها؛ إلا الفذ[3] النادر، الماهر في علم الباطن والظاهر[4]، فلا بأس على من هو كذلك أن يسلك هذه المسالك .

وأما الفقه فإنه يحتاج إليه لمعرفة ما هو فرض عليه، من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الأحكام، فهو مضطر إليه في قوام دينه ومفروضه ومسنونه، ولا بأس بالتوسع فيه والتوغل لمعرفة جميع الأعمال والأحوال والحلال والحرام، ولا يذم علمه بحال؛ إلا لما يقصد به من طلب الجاه والمال، ويعرض فيه من كثرة القيل والقال والمراء والجدال، والغفلة بالاشتغال في فروع نادرة عن ذكر الله والدار الآخرة، فقد تحصل بذلك قسوة القلوب، ويفوت ما هو أهم منه مما هو واجب

---

(١) في (أ) و(ج) و(ط): الشبه.

(٢) في (ط) و (ب): فلذلك .

(٣) الفذ: الفرد وجمعه أفذاذ وفذوذ. القاموس صـ٤٢٩.

(٤) في (ج): الظاهر والباطن.

أو مندوب، فمن سلك به فقهه هذه المسالك، فهو بعين ما أراد به النجاة منه أول هالك.

وأما من ذكَّره بالله وذَكَرَ الله تعالى فيه؛ وأكثر من ذكر الله تعالى في خلاله؛ وتحفَّظ من آفاته ومرائه وجداله؛ وقَصَدَ به وَجْهَ الله تعالى؛ فإنه له من أفضل الطاعات، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، فإنه من ذكر الله فإن ذكر أحكام الله من ذكر الله[١]، وقد جاء ذكر البيع والنكاح والطلاق وغيرها من الأحكام في الآيات في كتاب الله، وتقرأ جميعها[٢] في الصلاة فتكون [كلها][٣] صلاة[٤] لرجوعها إلى ذكر الله والحضور مع الله، فما موجب القرب إلا الحضور مع الله، وما علة البعد إلا الغفلة عن الله، وإن كان في أعظم أبواب الدين، فانظر إلى بر الوالدين، لعدم النية الصادقة، لغلبة العادة فيه على العبادة؛ وقلة الحضور مع الله فيه؛ قلّ أن يظهر[٥] أثره على القائم به، وتحصل له السعادة كما حصلت لأويس القرني سيد التابعين، وبالله التوفيق .

---

(١) سقط من (ب) قوله: فإن ذكر أحكام الله من ذكر الله.

(٢) في (أ) و(ج) و(ط): كلها.

(٣) سقط من (أ) و(ج) و(ط): كلها.

(٤) في (ب): فتكون كله صلاة .

(٥) سقطت في (ج): يظهر .

وأما التصوف[١] فإنه يحتاج إليه لمعرفة ما هو واجب من الإخلاص، وتخليص العمل من الشوائب والإعجاب والاختصاص، وتنزيه القلب من الخبائث الموبقة بالسير[٢] على طريق الخواص، فبه تصفية الأعمال وصفاء القلوب، واستعدادها لمنازلة المعرفة بالله تعالى ومطالعة الغيوب، فهو لعمري مجمع صفوة الدين، ومطلع أعمال المتقين، ومنبع شراب المعرفة وحُمَيَّا اليقين، فمن لم يذق منه[٣] مذاقاً، ولم يكتسب منه أخلاقاً، فقد خسر وإن نال علم الأولين والآخرين، لكنه لخفائه قلّ أن يوقَفَ عليه، ولعزَّته يندر أن يتوصل إليه، فكم ادعاه من ليس من أهله، ولبَّس فيه على كثير بمجرد غروره وجهله، ولا يناله بالكسب إلا الفذ النادر، على يد الشيخ الكامل الماهر، إلا أن مواهب الله لم تزل بأهله نازلة، ونفحات جوده على من صحبهم وجالسهم وأحبهم أبداً هاطلة، ومطالعة كتبهم ومذاكرة أحوالهم وفضلهم ترياق مجرب لعلل القلوب؛ وصحة التوبة وغفران الذنوب، ومجالستهم وتكثير سوادهم والاهتداء بأنوارهم والإقتداء بآثارهم مع الصدق معهم والاعتراف بنقص الأوصاف وسوء الاقتراف مفتاح[٤] الفتح ومشاهدة الغيوب، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، ومن أحبهم لحق بهم، ولا يحرم من بينهم من هو معهم.

---

(١) في (ج): التوصف.

(٢) في (أ) و(ط) و(ج): في السير.

(٣) في (ب): فيه.

(٤) في (ب): ومفتاح.

فالموفق من لازم الأعتاب، وانتظر الفضل من الوهاب، بقرع باب العمل الصالح والاقتراب، مع عدم الالتفات إلى علمه وعمله؛ فإن رؤية[1] ذلك تحتها أكبر حجاب، فلا تكمل له مع الله عبودية ما بقي فيه لغير الله[2] نسبة، ولا[3] تصفو[4] له من التصوف شربة، حتى يخرج عن نفسه وعن كل اختصاص وصحبه، فإن ذلك باب لا يقرع إلا بالافتقار والاضطرار، ولا يفتح إلا بملازمة العلم المقرب إلا الله ومداومة الأذكار، ولا يدخله إلا البريء من النفس والدعوى والحول والقوة في جميع الآثار، فالفرار إلى الله تعالى الفرار، فما أقرب الطريق على الصادقين، ولابد[5] مع صدق الجهاد من نصر الله، ومع بذل[6] الإجتهاد من فتح الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فالساقي باقي ولا ييأس من فضل الله ولا يقنط[7] من رحمة الله[8] إلا القوم[9] الكافرون، فكم قربت المواهب الإلهية من عبد قاصي،

---

(١) سقطت من (ط): رؤية.

(٢) في (ب): لغير الله فيه .

(٣) سقطت من (ج): ولا .

(٤) في (أ) و(ط) و(ج): يصفو .

(٥) في (أ) و(ط): فلابد .

(٦) في (ب): وبذل .

(٧) في (ب): ويقنط .

(٨) في (ط) و(ب): من رحمته .

(٩) سقطت من (ب).

وكم أنقذت يد العناية الربانية من زائغ وعاصي، فأصبح فوق ذرى المكرمات والنواصي[١]، فما ينكر نعمة الله على عباده وفضله ويعادي أولياءه وأهله إلا محروم، وذلك شأن من غلب عليه الحسد؛ وظلم نفسه، ولم يزل دائماً في كمد ونكد؛ حتى أهلك نفسه، بظلمه وهو في الحقيقة مظلوم، ولا يضر المحسود شيئاً بل يزيده الله فضلاً ويتم نعمته عليه، سنة الله التي قد خلت من قبل مع الأنبياء والأولياء[٢] والقوم.

وأما علوم القرآن والسنة فإنها أساس تلك العلوم وتأصيلها، ومبنى تحقيقها وتفصيلها، فيحتاج إليها في معرفة ذلك المعلوم لمن هو من أهل تلك العلوم، ومعرفة فضل أهلها وتفاصيلهم في الأخذ بالمنطوق والمفهوم، والعمل بصحيح الإيمان وصريح القرآن، واتساع المعرفة[٣] بواضح المنقول وصالح البيان، وانشراح الصدور واقتباس النور بتلاوة كتاب الله وتفهم مبانيه، وقراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم معانيه، وذكر أصحابه وأتباعه وحملة دينه وأشياعه، فهم الصالحون وعند[٤] ذكرهم تنزل الرحمة والسكينة، وتحصل الجمعية المبينة[٥].

---

(١) في (ج): النوصي.

(٢) سقطت من (ب): الأولياء.

(٣) في (أ) و(ط): واتساع أهل المعرفة.

(٤) سقط الواو في (ب).

(٥) في (ط): المبنية.

وأما الآلات فإن بها[١] معرفة الكلام العربي وفصوله، المحتاج إليها في فهم كلام الله وكلام رسوله، والسلامة والتحفظ من[٢] تصحيفه، وتغييره وتحريفه، عن مواضع وقوعه ومواقع نزوله، وناهيك بتلك من وسيلة يبلغ الموفق بها سوله.

وبالجملة فالعلم وجميع فنونه الراجعة إلى الدين من الدين، ومن أفضل الطاعات لرب العالمين، ومن فهمَهُ وقّاد، والعلم له منقاد، فليصرف وقته كله فيه، سوى ما يضطر إليه أو يعول عليه، لأداء الفرائض الواجبات والمندوبات، والقيام بالحقوق اللازمة [والمؤكدات][٣]، كالحزب القرآني والأوراد النبوية المقيدة بالأسباب والأوقات، والنوافل كذلك من الصلوات وغير الصلوات، فإن ذلك من تمام الفرائض ومكملاتها، ومما حض الشارع عليها وخصها بأسباب وأوقات، وإن كان فضل العلم مشهوراً على العموم، فإن هذه أمور لها تخصيص معلوم.

ولا يُنال فضل العلم إلا بالإخلاص فيه، والصدق به مع الله، وذكره بالله وذكر الله فيه، وعدم الغفلة به عن الله، فقد قدّمنا أن ذكر أحكام الله من ذكر الله، وحذرنا من الغفلة به عن الله، بالاشتغال بقيل وقال، وكثرة

---

(١) زيادة من (ب) و(ط).

(٢) في (ط): عن.

(٣) ساقطة من (ب).

السؤال والمراء والجدال، فإن ذلك يصير إلى الغفلة، ثم إلى[١] القسوة، ثم موت القلب وشتات البال، المؤدي إلى الضلال والخبال، ومن الإفراط في الطلب، المؤدي إلى التفريط في صالح الأعمال، من الفرائض المؤقتة والنوافل المؤكدة، وما ذكر معها بالتضييع والإهمال، فإن ذلك يؤدي إلى[٢] نقصان في الدين وعصيان لرب[٣] العالمين، وأي خير[٤] في علم يؤدي إلى نقصان ويدخل في حيز العصيان، فإن من أخل بنوافله المؤكدة، دخل عليه النقص في فرائضه الواجبة، ومن لا ورد له من الواردات النبوية، وحزوب المشايخ الصوفية؛ فلا وارد له، ومن أعرض عن ذكر الله وحزوب القرآن؛ ونسي الله أنساه نفسه، وجعل قرينه الشيطان، وحشر يوم القيامة أعمى، وعاش وهو حيران.

وحزب القرآن من الواجبات المؤكدة، فمن حق كل قارئ مراعاة حفظه، فإنه سريع الانفلات، ونسيان سورة بل آية منه من أعظم السيئات، وهو ديوان الدين، وأصل كل نور وهدى وعلم وبيان، فلا يغتر من سمع ما ورد في فضل العلم فاجتهد فيه، وأهمل هذه المهمات والأعمال[٥] التي بها قوام القلب وحفظ الإيمان.

---

(١) سقطت من (ب): إلى.

(٢) سقط في (ب): يؤدي إلى.

(٣) في (ط): رب.

(٤) في (ط): وأي خبر.

(٥) في (ط): الأعمار.

وأما من في فهمه بلادة؛ فليصرف بقية زمنه إلى العبادة، أو غيرها مما فيه ثواب من نفع المسلمين،[1] وخدمة أهل الدين، ولو بالاكتساب، لما هو واجب أو مندوب من الأسباب.

فليغتنم العاقل جوهرة عمره العزيز، فإن ذرة منه رخيصة بألف درة، فمن لم يشغل ساعاته بالخير، ويصبّر نفسه ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨] وإلا أشغلته[2] نفسه[3] بالشر، وذهب عمره في البطالة والتواني، حتى تهجم عليه المنية وهو في التسويف والأماني، وبالله التوفيق وهو المستعان .



(١) في (ب): للمسلمين .

(٢) في هامش (أ) : قوله وإلا أشغلته الصواب حذف وإلا كما هو ظاهر أهـ محمد الكاف .

(٣) سقطت في (ب): نفسه.

الدائرة الثالثة

في طريق الإحسان، وهو السير من الظاهر إلى الباطن، ومن العلم والبرهان إلى الذوق والوجدان

فإن العبد إذا تمكن في الإسلام والإيمان، وأخذ طرفاً صالحاً من العلوم الشرعية الواردة في السنة والقرآن، فاتسع علمه، وانفتح فهمه، وانشرح صدره، عرف نفسه فعرف ربه[١]، وطلب رضاه وقربه، فإنه يشهد عجزه وذله، وشدة افتقاره وجهله، فإنه كغيره من الأكوان خلق من عدم، وراجع إلى عدم، في غاية الاحتياج والاضطرار، ليس له استقلال بقدرةٍ ولا اختيار، ولا وجود ولا بقاء ولا فضل ولا جود إلا بواجب الوجود في جميع الشان، فإن وجوده ودوامه، وكل كمال فيه وفعل وانفعال، حتى قعوده وقيامه؛ من فضل الله [وإنعامه][٢]، فيعرف نعمة الله عليه، وأن المنة لله سبحانه إذ وفقه لشكره وذكره في كل طاعاته وإحسانه[٣]، فلا يطلب[٤] جزاء فيها، ولا ينظر إليها، و[٥] يخاف من

---

(١) ذكره الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة ٤٩٠ حديث رقم ١١٤٩ المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري ١٨٩ فتاوى الإمام النووي ٢٧٩-٢٨٠ تحقيق محمد الحجار.

(٢) سقطت في (ب): وإنعامه.

(٣) في (أ) و(ج) و(ط): طاعة وإحسان.

(٤) في (أ) و(ط) و(ج): يطالب.

(٥) في (أ) و(ج) و(ط): بل.

وجودها، مع قلة التقصير[1] في شكرها، وما شكرها إلا بالاعتراف وشهود المنة فيها.

فإذا عرف ربه بذلك خافه ورجاه ولهج بذكره، ودام[2] على اجتناب نهيه وامتثال أمره، وطلب قربه، وغلبت عليه الإنابة إليه ومزيد حبه، فتمكن في ذلك، واستقر له بالذوق[3] والوجدان، حتى يعبد[4] الله كأنه يراه، ويشهد معناه فيما عناه ورآه، ويعترف بمنة الله عليه في طاعته وذكره، ويعترف بعجزه عن أداء حقه وشكره، فيفر إلى الله من جميع الأكوان، ويبرأ إلى الله من التعويل على طاعة أو عصيان، ويذوق لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولا يزال يترقى في منازل الصبر والشكر والإنابة، ويكرع من مناهل الرضى والتسليم والتوكل والمحبة، فيرد جميع أمره إلى الله، ويوليه جميع ما ولاه، من أمور آخرته وأولاه؛ فيتولاه، ولا يزال مسافراً في الله[5] فاراً إليه فيه به، مستهتراً بذكره ذاهباً فيه، حتى يفنى عن نفسه وعن ذكره، ويستغرق في الله فلا يشعر بغيره، بل ربما نطق بلسان الحق، لاستغراقه فيه فقال: أنا الحق، وربما أنكر نفسه وتعينه في الخلق، وهو

---

(١) في هامش (أ): قوله التقصير لعله التشمير وهو الصواب اهـ محمد بن عمر الكاف أو أبدال لفظ القلة بالكثرة وهو ظاهر أيضاً، اهـ الكاف.

(٢) في (ط): وداوم.

(٣) في (أ) و(ط): الذوق، وفي (ج): لذوق.

(٤) في (ط): عبد.

(٥) سقط في (أ) و(ج): في الله.

معذور لغلبة سلطان الحقيقة عليه، فهو يتردد بين صحوه[١] وسكره، وجمعه وفرقه، ووجده وغيبته وحضوره، حتى يتحقق له الوجود، وتظهر عليه خلعة الجود، ويصح قربه، ويتضح حبه، فيكون الله سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان استعاذ به أعاذه وإن سأله أعطاه[٢].

فعند ذلك تسطع عليه أنوار الحقيقة، ويذوق جنى معاني الوحي والنبوة، في معاني[٣] القرب والولاية والفتوة، فيشهد حقائق التنزيل على التفصيل، ويعرف معارف التفريع والتأصيل، ويفهم بالله عن الله كل مشكلة، ويتضح له بنور الله حل[٤] كل معضلة، وذلك ثمرة التقوى واليقين، وصحبة أهل الله المتقين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] أي من كل مشكل ومعضل ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ علماً وفهماً ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣] وقال أيضاً: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] الآيات، وبالله التوفيق.

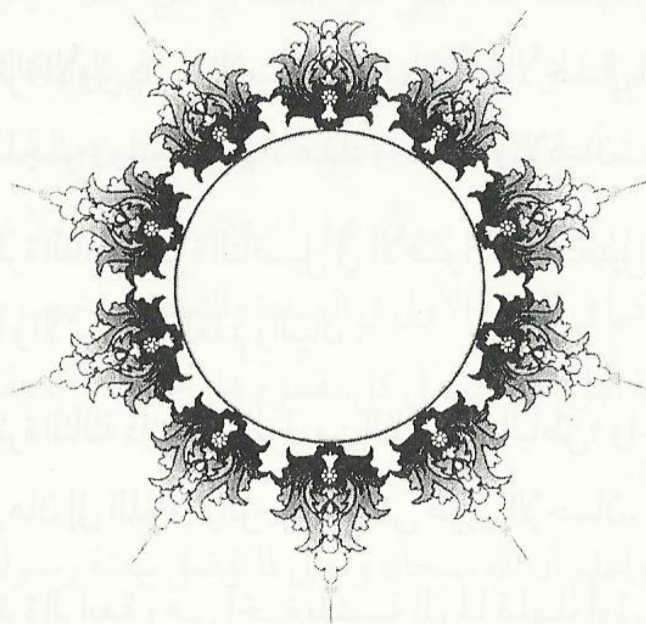
---

(١) في (أ) و(ط) و(ج): محوه.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣١٩، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء صـ٢٧ – ٢٨ رقم ١، ورواه البخاري بلفظ قريب من هذا في كتاب الرقاق باب التواضع حديث رقم ٦٥٠٢، ٥/ ١٢٣ وابن حبان في صحيحه ورواه الحكيم الترمذي ٤/ ٣٥. ورواه أبو يعلى الحديث رقم ٧٠٥١، ٦/ ١٤٦.

(٣) في (ط): معاناة، وفي (أ) و(ج): معانات.

(٤) سقطت من (أ) و(ج) و(ط): حل.



الدائرة الرابعة

وهي مطالعة الحقائق، والوقوف على الحد والمطلع في جميع الرقائق والدقائق.

وذلك ثمرة الطريق، وزبدة التحقيق، فإن الموفق إذا تمسك بالواردات القرآنية، والسنة المحمدية، على الطريقة[١] الإحسانية، وساعدته العناية الربانية، حتى تمكن في الشهود، ورأى سريان الجود بالحقيقة، في مسالك الوجود والخليقة، فرأى الحق حقا واستمعه، وعرف الصواب من الخطأ فاتبعه، فاتضحت بنور الحق طريقته، واعتدلت بميزان العدل خليقته، وصفت بصفوة اليقين حقيقته، فأشرقت له النورانية الشاملة، وظهرت به الإنسانية الكاملة، فسره مع الله تعالى في قدس اللاهوت، وقلبه مع الملأ الأعلى في أعلى الملكوت، وجسده في عباد الله مع أهل الله في عالم الناسوت، فهو يعبد الله بجميع عبادات المخلوقات، فهو في ذكره مع الكروبيين[٢]، وفي تسبيحه وفكره مع الملائكة المقربين، وفي عمله وشكره مع عباد الله الصالحين، فقد ذكر بتسبيحات المخلوقات، واستقام قانتاً مع الكائنات[٣]، وركع وسجد في تقلباته مع الساجدات، فنفسه بالهدى مطمئنة باليقين، وشهوته الطبيعية

---

(١) في (ط) و(ج): الطريق.

(٢) في (ط): المكروبين.

(٣) في (أ) و(ط) و(ج): الكليات.

والغضبية والسبعية منقادة له للدين، وأسلم شيطانه فصار له على الحق كالمعين، فهو بعين عناية الله ملحوظ، وبزين رعايته محفوظ، كلما زادت نعمة الله تعالى عليه، بتوفيقه لطاعته وذكره، ومعرفة جلالته[(١)] وعظمته، وعلو جبروته وقهره، عَرَفَ قصوره وتقصيره[(٢)] في شكره، واعترف بعجزه وفقره، وتلاشي أمره، فهو يستغفر الله في يومه أكثر من مائة مرة، ويخاف الله أعظم من خوف العصاة لمَّا عرف الله تعالى وأمره، فخوفه واستكانته لجلال الجبار، أعظم من خوفه من النكال ومن عذاب النار، فإن النار من جملة خلقه وجنوده، المسخرين في وجوده، وهو أعلم بما عنده مما هو أعظم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨][(٣)] ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] و﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧] ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

فلا يزال هذا العبد الموفق بين خوف الابتلاء والمحنة، ورجاء القرب والصلة الآن وفي الجنة، تارة يقبضه الجلال، وتارة يبسطه الجمال، شاهد الفقر[(٤)] في جميع الخصال، مشاهداً[(٥)] للفضل والمنة على كل حال،

---

(١) في (أ) و(ج) و(ط): جلاله.

(٢) في (ج): وتقصير.

(٣) في (ب) و(ط): ويخلقكم فيما لا تعلمون.

(٤) في (أ) و(ج) و(ط): شاهداً لفقره.

(٥) في (أ) و(ج): شاهداً.

علومه علوم القرآن والسنة، فهو يترفَّل[1] في فنونها، ويتوغل في بطونها، ويبتهج بأنوارها، وينتهج[2] في أسرارها، ويكرع من شراب عيونها، ويغوص على جواهرها ومكنونها، لا يحجبه شهود الحقيقة، عن شواهد الشريعة ومشاهدة الخليقة، فالأعمال الصالحة عنده هدية الله إليه، ومنة منه عليه، منحها إياه ليقبل بها إليه، وفتحها له ليفتح بها عليه، فهي باب الله الذي لا مدخل إليه إلا منه، ولا مسلك إلا فيه وعنه[3]، فهو عامل على القرب والتعريف، قائم بواجب الشريعة معتقداً- وإن سقطت[4] عنه الكلفة - بقاء التكليف، يخاف الوقوع في المعصية والبعد، وإن صح له القرب والوصلة والتأليف، فهو عبد الله الجامع، ومظهر سره اللامع، الداعي إليه فيه على بصيرة، والممد لخلقه به عنه في كل سيرة وسريرة، فإن أظهره ظهر بفضله، ووصل نعمته ورحمته لمن خصه بوصله، على حسب ما قسم على يديه من السعادة، وقدَّره له من التلقيح والولادة، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

---

(١) يترفل: أي يتبختر كبراً في ثيابه أو في مشيه. المعجم الوسيط صـ٣٦٢.

(٢) في (ط): ينبهج، وفي (أ) و(ج): يتبهج .

(٣) سقطت من (ج): وعنه .

(٤) في (أ) و(ج) و(ط): أسقطت.

الخاتمة

لا خلاف بين الظاهر والباطن، ولا الأول والآخر، ولا الشريعة والطريقة والحقيقة، وبيان ذلك:

أن الشريعة أحكام الله التي كلف بها العباد، للطاعة له[١] والانقياد، عند إثبات الأسباب وإقامة الانتساب[٢]، ليخرجهم بحكم الشريعة، من ظلمة الهوى والطبيعة، باجتناب المنهي وامتثال المأمور، في جميع الأمور.

والطريقة السير بتلك الشريعة إلى الله على ما يستطاع، بالخلوص[٣] بالإخلاص إلى الله فيها والانقطاع، والتبري من الركون إلى الأسباب، والكون على الانتساب، ليخرجوا من قيودها وحدودها، إلى مطلع الجود ومنبع الوجود، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البقرة: ٢٥٧].

والحقيقة تجلي الحق بنوره على عبده بالتحقيق بغاية التنزيه، وظهور الوحدانية بلا تعطيل ولا تشبيه.

---

(١) سقطت من (ب): له.

(٢) في (ط): الأنساب.

(٣) في (أ) و(ط) و(ج): والخلوص.

ولنوضح المثال في نسبة الأعمال، فإن الله خلق العبد وقدرته وعمله بقدرة واحدة، فنسبة العمل إلى الله حقيقة، ونسبة[1] إثباته للعبد بإثبات الله شريعة، وعمل العبد بقدرته مع شهود الفعل من ربه بلا منافاة طريقة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ طريقة ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ شريعة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧] حقيقة.

ويقول العبد أصلي - مثلاً - لله شريعة، وأصلي بالله طريقة، وصلى الله لي[2] - أي خلق لي الصلاة وجعلها نسبتي - حقيقة.

ومثال ذلك الإنسان، له جسد ظاهر وروح حيواني ونفس ناطقة، فنفسه الناطقة في الظاهر تنافي جسده الظاهر من كل وجه، لأنها نورانية لطيفة مجردة عن الشكل والكيفية، بضد الجسد في ذلك، والروح الحيواني برزخ بينهما، فيه من كلٍ منهما، وصار الجميع إنساناً واحداً، فكذلك الشريعة والحقيقة مع الطريقة دين واحد، ومعنى جامع، كنسبة الأعمال إلى الله وعبده في عمل واحد، لـ ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[البقرة: ١٦٥] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[هود: ١٢٣] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[سبأ: ٤٧] وهو ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ

---

(١) سقطت من (ب): نسبة.

(٢) سقطت من (ب): لي.

مُحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة: ١٢٠] ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] دنيا وأخرى، في كل جود ووجود، وشاهد ومشهود.

فسبحان [الله][1] الذي أظهر كل شيء بنوره، لأنه نور السماوات والأرض، ولولا نوره المحيط بكل شيء ما ظهر شيء، فهو أظهر من كل شيء، فلا يتوهم أنه مستور أو محجوب، لأن المحجوب مقهور وهو القاهر، وإنما حجب الخلقَ عنه[2] رؤيةُ أنفسهم، وظلمةُ أكوانهم المحيطة بهم، وهكذا الأمر الإلهي في قدرة الأعمال، وغيرها من الصفات والأحوال، كالسمع والبصر والكلام، والبقاء والفناء، والجمع والفرق والثبات والشتات، والزمان والمكان في الذات والصفات.

وربما سبق إلى فهم المنكرين والجهال؛ نسبة القوم السالمين[3] من اللوم والزيغ والضلال؛ إلى الميل إلى قول أهل الإلحاد؛ والحلول والإتحاد، فحاشا[4] الله وحاشا أهل الدين والعلم واليقين والكمال، بل من أنصف وتقرر عنده ما ذكره أهل العقائد في الكلام، على مسألة الكلام، في قولهم القرآن كلام الله، محفوظ في القلوب، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف غير حال[5] فيها عرف ذلك واعترف به، وكذلك

---

(١) زيادة من (ج).

(٢) في (ط): عن.

(٣) في (ب): إلى المين.

(٤) في (ط): فما شاء.

(٥) في (ط): حامل.

ظهور عمل العبد بقدرته الحادثة، التي لا تأثير لها مع نسبة الحقيقة إلى الله، فالعضو[١] مظهر قدرة الله في خلق الأعمال، كالمصحف والحروف والآذان والقلوب مظهر ظهور كلام الله فيها.

وهذه العلوم مزلة أقدام أهل الإقدام، فكل من لم يستقر له تمكنٌ في علم الأحكام؛ مع علوم الطريقة؛ ومناهج الحقيقة؛ بعلم وذوق واحتكام؛ فالأولى به التوقف فيها وعنها والإحجام، وما يدركها إلا من نوّر الله قلبه، وهذّب لبه، وشرح بنور اليقين[٢] صدره، فصلح في الله أمره.

وما كان ينبغي ذكرها والخوض فيها على هذا البناء إلا لمجرد التشويق إليها والمدح لها، والثناء وأنها كنز الغنى، وأولى من كل الأمور بكل اجتهاد و[٣] اعتناء، لكن الأولى بها الستر والحفظ الخاص، والاختصاص بالخواص، أهل الذوق والإخلاص.

وأما في العموم فالأولى التظاهر بعلوم الظاهر، خصوصا علم الكتاب والسنة والإتباع، وترتيب الفقه والتصوف عليه وتزيينه به وتشنيف الأسماع، فهو أبعد عن الابتداع في إتباع الرسول، وأقرب إلى الوصول إلى تقويم الفروع[٤] وتأسيس القواعد والأصول، فيكون علم

---

(١) في (ط): فالعفو.

(٢) في (أ) و(ج) و(ط): باليقين.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) إلى هنا انتهت النسخة (ج).

الكتاب والسنة علمه ورسمه، والتفقه في الدين همه وفهمه، والتصوف طريقه ووسمه، والحقيقة كنزه وسره وكتمه .

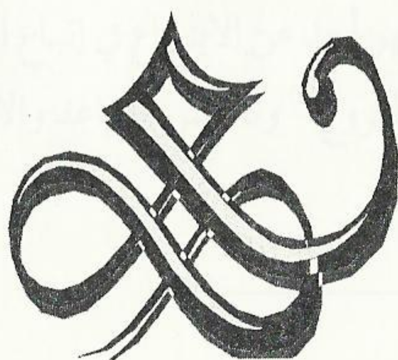
وليكن هذا آخر الأنموذج وختمه، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين[1] .



(١) في النسخة (ب): تم الكتاب بحمد الله بتاريخ يوم السبت ٢٧ من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٢٤٣هـ ملك كاتبه لنفسه الفقير إلى الله عبدالرحمن بن عيدروس بن علي الجفري.

الفهرس

الموضــــــــــــــوع .. الـــصحفة





زاوية العيدروس العلمية

بحوطة آل أبي علوي بتريم